

## مرقد الشيخ محمد بن سكران (رض)

بقلم

المرحوم السيد ناصر النقشبندى (\*)

مدير المسكوكات والابحاث الاسلامية (سابقا)

يقع المرقد على تل أثري اسلامي يبلغ محيطه نحواً من خمسمائة متر وارتفاعه بين المتر والمترين ويحيط بالتل بستان من النخيل والاشجار المثمرة ويرتقي تأريخ البناء الى أواسط القرن السابع للهجرة = الثالث عشر للميلاد .

بناية قبة المرقد هذه مئنة مشيدة بالأجر والجص وهي مئنة الشكل يبلغ طول كل ضلع منها اربعة امتار وثلاثين سانتيمترا تعلوها قبة معقودة مستديرة مدرجة الى ثلاث مناطق كل منطقة اصغر من التي قبلها تنتهي بميل من النحاس ويرتفع جدارها نحو ستة امتار ثم أطواق مقرنصة لترتفع عليها القبة نحو متر وترتفع القبة عليها بنحو أربعة أمتار تقريبا وجدرانها سميكة . ويقع مدخل البناية في الجنوب الغربي منها يتديء بدعيلز طوله ستة امتار وعرضه ٣٠٣٠ مترا وارتفاعه بنحو ٦ امتار سقف بجذوع النخل ومدخله معقود وله جناحان متهدمان . وهذا الدعيلز قد صان ما كتب على باب قبة المرقد وهو

هو مرقد الزاهد العالم التقي الشيخ محمد بن سكران، وهذه دراسة مختصرة عن بناية مرقدته ونبذة عن حياته من عمل وزهد وورع وتدريس مريديه .  
ومرقدته عند قرية الجديدة في الزوية (١) من

ناحية خان بني سعد في مقاطعة المسيرية وشرق الراشدية وفي الشمال الغربي من الناحية على نحو من عشرة كيلومترات منها وفي الشمال الشرقي من بغداد على نحو من ثلاثين كيلومترا . على المربع رقم ٣٦ من الخارطة المرقمة ٢ - سي/ان دبليو ( ٢ - سي/ش . غ ) بسميكة بمقياس العقدة ميلين .

(\*) راجع خبر نعيه في الصفحة ( ٢٠١ ) من هذا المجلد .

(١) قال في المراصد : في مادة زاوية ( والزاوية ببغداد قرية من قرى الخالص كان فيها زاوية الشيخ محمد بن سكران رضي الله عنه يطعم فيها من يجتاز به ) . ولا يزال قبره معمورا في شرقي الراشدية قرب الجديدة على الخالص القديم المنشور .

- ٣ - فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون •
- ٤ - هذي التربة للشيخ الصالح قطب العارفين أوجد عصره وفريد
- ٥ - دهره محيي الدين محمد بن سكران رحمة الله عليه • ومنشيء هذه الزاوية
- ٦ - وموقفها على الفقراء المقيمين والواردين واليتامى والمساكين والغرباء وابناء
- ٧ - السيل • وانشأ هذه القبة خادمه ووصيه الشيخ خميس • توفي الشيخ رحمة الله
- ٨ - عليه يوم الجمعة سنة سبع وستين وستمائة وصلى الله على محمد النبي واله •
- وكتب على المسدسات بالخط الكوفي المشجر داخل الزخارف ما يأتي :
- ١ - ( هذه سكنى شيخ الزاوية ) في القسم العلوي من اليسين •
- ٢ - ( عاش ثمان وثمان مئة ) في القسم العلوي من اليسار •
- ٣ - ( فله ) في القسم السفلي من اليمين •
- ٤ - ( البقاء ) في القسم السفلي من اليسار •
- النص المكتوب على ضريح الشيخ محمد بن سكران وهو بعض الآيات الكريمة :
- ١ - ( ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا • انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ) •
- وقد يكون قبله الآية ( بسم الله الرحمن الرحيم • يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ) •
- حديث اذ انهدم الدهليز القديم قبل نحو مائة سنة وكان قد سقف بقتين معقودتين عليه وكان أمامه ساحة تهدمت جدرانها فاستعملت مقبرة الان • ويتهي الدهليز باب قبة المرقد وعرضه ٩٥ سم وارتفاعه متران وفوقه قوسان من العقادة بينهما كتيبة عليها ثمانية اسطر من الكتابة النسخية البارزة نحتت في الآجر بين شبكة من الزخارف وفي زواياها الاربع مسدسات لكل زاوية مسدس كتب بالحروف الكوفية المشجرة بين الزخارف في غاية الجمال والدقة في النحت البارز •
- في داخل القبة ضريحان متجاوران بينهما فاصل صغير يدخلون فيه المريض ليشفى • الضريح الاول وهو في الجهة الشمالية الغربية للشيخ محمد بن سكران يحيط بأسفله سطر من الكتابات بالخط النسخي البارز نحتت في الآجر بين الزخارف مخفية تحت الجص ماعدا جهة واحدة • وبني القبران من الجص والطابوق وفوقهما قفص من الخشب والحديد له باب بينهما والضريح الآخر الى الشيخ خميس •
- ان الكتابات بخط جميل وواضح للغاية ومصونة تماما وذلك بفضل الدهليز الطويل الذي حافظ عليها من فعل العوارض الجوية • ان هذه الكتابات تمثل لنا نموذج الخط النسخي في سنة ٦٦٧ هـ أي في بداية الفترة الايلخانية • بين خط المدرسة المستنصرية سنة ٦٣٠ هـ والمدرسة المرجانية سنة ٧٥٦ هـ • وعليها النصوص الآتية :
- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم •
- ٢ - الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية •

العفة والزهد والانقطاع وتربية الفقراء والايثار وحسن السيرة • سكن في هذه الناحية في مبدأ أمره يزرع بيده ويواسي الواردين مما يحصل له • ثم عمر موضعا يأوي الفقراء اليه فبقي على ذلك مدة ثم عمر له هذا الموضع رباطا فزرع الى جانبه بستانا غرس فيه نخلا وشجرا وأوقفه على الفقراء فانضم اليه جماعة من الصالحين كل منهم يزرع بيده ولا يتخصص بالنماء فكان يقيم بجميع من يجتاز به • ثم اعتمد على اصحابه في ذلك وانقطع يعبد الله ولا يطلب بفيه قوتا ولكن ان اعطي له أكل وان اشتغلوا عنه لا يطلب حتى انه ربما بقي اياما لا يطعم، فقال يوما لاصحابه لا ريب انكم ما تسألون عن أحوال الفقراء وقد بلغني ان بينكم فقيرا له ايام لم يطعم ففحصوا عن ذلك فعرفوا انهم اهلوا الشيخ فاعتذروا اليه باشتغالهم في خدمة الواردين واستغفروا الله •

فيل ان خواجا نصير الدين الطوسي اجتمع به وقال له ما حد الفقر؟ فقال الذي أعرفه ان زيق الفقير ضيق لا يدخله رأس كبير •

ومرقد الشيخ محمد بن سكران يزار من قبل السكان المجاورين في مواسم الاعياد والجمع وفي كثير من المناسبات وفيه قيم يشرف عليه دائما • ويطلق السكان عليه اسم ( الشيخ محمد بن بكران ) تجنبا من ذكر كلمة سكران وبهذا الاسم يعرف بين المجاورين الآن • والصحيح هو كلمة سكران بلا شك كما جاءت في النص وكتب التاريخ وهذا جائز في عرف المتصوفة بمعنى سكران في حب الله وطاعته • وقال ابن الفوطي في كتابه الحوادث الجامعة في المئة السابعة يوضح لنا بعض الشيء عن طريقة الشيخ محمد بن سكران وحياته حيث قال في حوادث سنة سبع وستين وستمائة للهجرة • وفيها توفي الشيخ الصالح الزاهد محمد بن سكران ودفن في رباطه (٢) في ناحية المباركية من الخالص بالجانب الشرقي من بغداد وبنيت عليه قبة وعمل عليه ضريح من الخشب • وكان رحمه الله على قاعدة السلف في

(٢) قال ياقوت في معجمه : المباركية حصن بناه المبارك التركي احد موالي بني العباس وبها قوم من مواليه •

## تعليق للدكتور مصطفى جواد

الكتاب قبل أكثر من ثلاثين سنة بالاسم المذكور ، ثم تبين لي أنه لا يمكن ان يكون « الحوادث الجامعة » • وقد نقل السيد ناصر - رح - ما حشينا به ترجمة الشيخ بن السكران من غير اشارة الى

نقل المرحوم الاستاذ السيد ناصر النقشبندي ترجمة الشيخ المذكور آنفا من كتاب مجهول المؤلف كان المحقق يعقوب سر كيس قد استرجح كونه « الحوادث الجامعة » أحد كتب ابن الفوطي في التاريخ ، وقد شاعته في تلك التسمية ونشرت

كانت من نواحي قزوين فهو قول ياقوت في معجم البلدان : « وكان موسى الهادي لما صار الى الري قدم قزوين وأمر ببناء مدينة بازائها فهي تعرف بمدينة موسى وابتاع ( أرضا ) يقال لها رسم أباذ ووقفها على مصالح المدينة وكان عمرو الرومي يتولاها ثم تولاهما بعده ابنه محمد بن عمرو وكان المبارك التركي بنى بها حصنا سماه المباركية وبه قوم من مواليه » •

وللشيخ المقدم ذكره ترجمة في تلخيص مجمع الآداب تأليف ابن الفوطي ، قال « محي الدين أبو الفقراء محمد بن عبدالعزيز السكران بن أبي السعادات بن المعمر الخالصي العارف الزاهد • كان شيخ زمانه ورعا وعبادة ومعرفة وزهادة ، والزاوية المنسوبة اليه هي طراز العراق التي اشتهر ذكرها في جميع الآفاق • أدركت زمانه وتبركت برؤيته وتشرفت قبيل الواقعة بتقيل يده ، وكان قد استدعاه الخليفة لاجل الدعاء مع جماعة من الفقراء فذكر الشيخ ان الامر قد فرط و ( قد قضى الامر الذي فيه تستفتيان ) • وكان قدس الله روحه على طريقة مشكورة في خدمة الصادر والوارد والمقيم والمسافر ، ويخدم الناس على طبقاتهم من الملوك والسلطين الى الفقراء المحتاجين ، وعليه رسوم لفقراء بغداد بل لا كبرها يتناولونها في كل عام على الاستمرار والدوام • ولم يزل على هذه الطريقة المعهودة المحمودة الى أن توفي في شعبان سنة سبع وستين وستمائة ودفن بزوايته بالمباركية من الخالص وعمرت عليه قبة عالية يزورها الناس وقد زرته » •

مظنته ، فالحاشية الاولى وهي قوله : « قال في المراصد في مادة زاوية : « والزاوية ببغداد قرية من قرى الخالص كان فيها زاوية الشيخ محمد بن سكران - رضي الله عنه - يطعم فيها من يجتاز به » • ولا يزال قبره معمورا في شرقي الراشدية قرب الجديدة على الخالص القديم المندثر « هي كقولنا في الصفحة ٣٦٤ : « لا يزال قبره معمورا في شرقي الراشدية قرب الجديدة على الخالص القديم المندثر ، قال في مادة زاوية من المراصد : والزاوية ببغداد قرية من قرى الخالص كان فيها زاوية الشيخ محمد بن سكران - رضي - يطعم فيها من يجتاز به » • سوى انه قدم الفقرة الاخيرة على الفقرة الاولى ولم يزد ولا نقص حرفا واحدا •

ونقل الحاشية الثانية تعليقا على ناحية المباركة ( وقد طبعت في الكتاب المباركية من غلط الطبع ) من معجم البلدان وهي قوله : « قال ياقوت في معجمه : المباركية حصن بناه المبارك التركي أحد موالي بني العباس وبها قوم من مواليه » •

أجل قال ياقوت ذلك ولكن أين بناها المبارك التركي ؟ بناها بمدينة موسى في نواحي قزوين مع أن الناحية التي توفي فيها الشيخ المذكور من نواحي الخالص ، قال المؤرخ : « ودفن في رباطه بناحية المباركة من الخالص بالجانب الشرقي من بغداد » • « ص ٣٦٤ » • ثم ان الشائع في تسميته بلواء ديالى هو « الشيخ محمد السكران » أما محمد بن بكران فنادر جدا •

أما النص الجغرافي المثبت لقولنا ان المباركية